فصل في
بيان سموّ مكانته ﷺ وعلوّ رتبته

أولاً: أن الله اتخذه خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « **لو كنت متخذاً خليلاً من أهل الأرض لاتخذت ابن أبي قحافة خليلا، لكن صاحبكم خليل الرحمن**» (١).

والخَّلة أعلى درجات المحبَّة.

ثانياً: أن الله تعالى ختم به النبيين:

قال الله تعالى: ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ [الأحزاب : ٤٠] .

قال الحافظ ابن كثير -رحمه الله- في تفسيره:

هذه الآية نصٌّ في أنه لا نبي بعده، وإذا كان لا نبي بعده فلا رسول بعده بالطريق الأوْلى والأخرى، لأن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة، فإن كل رسول نبي ولا ينعكس، وبذلك وردت الأحاديث المتواترة عن رسول الله ﷺ من حديث جماعة من الصحابة رضي الله عنهم أهـ.

قلت: ومن هذه الأحاديث حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة؟، فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين**» (٢).

ثالثاً: أن الله بعثه إلى أهل الأرض جميعاً عربهم وعجمهم:

قال الله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [سبأ : ٢٨] .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (فضائل الصحابة) باب (فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه)، برقم ٢٣٨٣.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (المناقب) باب (خاتم النبيين ﷺ)، برقم ٣٥٣٥، ومسلم في صحيحه كتاب (الفضائل) باب (ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين)، برقم ٢٢٨٦.

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥٨) ﴾ [الأعراف : ١٥٨] .

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله ـ في تفسيره: (١)

يقول الله تعالى لنبيه ورسوله محمد ﷺ : ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ﴾ وهذا خطاب للأحمر والأسود والعربي والعجمي ﴿ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ أي جميعكم ، وهذا من شرفه وعظمته ﷺ ، وأنه خاتم الأنبياء ، وأنه مبعوث إلى الناس كافة كما قال تعالى: ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ ﴾ [الأنعام : ١٩] اهـ.

وقال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا (١) ﴾ [الفرقان : ١] .

وقال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (١٠٧) ﴾ [الأنبياء:١٠٧]، وقال تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٦٤) ﴾ [آل عمران:٦٤] . وهذه الآية كان النبي ﷺ يجعلها في كتاباته إلى ملوك الأرض في زمنه يدعوهم إلى الإسلام.

قال الحافظ بن كثير ـ رحمه الله ـ في تفسيره: (٢)

هذا خطاب يعمّ أهل الكتاب من اليهود والنصارى ومن جرى مجراهم ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ ﴾ ، والكلمة تطلق على الجملة المفيدة كما هاهنا ، ثم وصفها بقوله: ﴿ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾ أي عدل ونَصَفٌ نستوي نحن وأنتم فيها ، ثم فسَّرها بقوله : ﴿ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا ﴾ لا وثناً ولا صليباً ولا صنماً ولا طاغوتاً ولا ناراً ولا شيئاً ، بل نفرد العبادة لله وحده لا شريك له ، وهذه دعوة جميع

---

(١) (٣/٣٥٢) .

(٢) (٢/٤١) .

الرسل ، قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ (٢٥) ﴾ [الأنبياء:٢٥] ، وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل:٣٦] ، ثم قال تعالى : ﴿ وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا ﴾ قال ابن جريج : يطيع بعضناً بعضاً في معصية الله .

وقال عكرمة : يسجد بعضنا لبعض .

﴿ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ أي فإن تولوا عن هذا النَصَف وهذه الدعوة فأشهدوهم أنتم على استمراركم على الإسلام الذي شرعه الله لكم اهـ.

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : «**أُعطيت خمساً لم يعطهن أحدٌ قبلي وذكر منهن :وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافَّة**» (١) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « **والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار**» (٢) .

قال الإمام النووي ـ رحمه الله ـ: قوله ﷺ : « لا يسمع بي أحد من هذه الأمة » أي ممن هو موجود في زمني وبعدي إلى يوم القيامة ، فكلهم يجب عليه الدخول في طاعته ، وإنما ذكر اليهود والنصارى تنبيهاً على من سواهما ، وذلك لأن اليهود والنصارى لهم كتاب ، فإذا كان هذا شأنهم مع أن لهم كتاباً ، فغيرهم ممن لا كتاب له أولى ، والله أعلم . اهـ.

رابعاً: أن الله سبحانه وتعالى أرسله ﷺ رحمة للعالمين :

قال الله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (١٠٧) ﴾ [الأنبياء:١٠٧] .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الصلاة باب قول النبي ﷺ «**جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً** ») برقم ٤٣٨ ، ومسلم في صحيحه كتاب (المساجد ومواضع الصلاة) ، برقم ٥٢١ .

(٢) أخرجه مسلم كتاب (الإيمان) باب (وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته) برقم ٢٤٠ .

قال الحافظ المفسر ابن كثير- رحمه الله - في تفسيره: (١)

يخبر تعالى أنه جعل محمداً رحمة للعالمين،أي أرسله رحمة لهم كلهم،فمن قبل هذه الرحمة وشكر هذه النعمة سعد في الدنيا والآخرة،ومن ردّها وجحدها خسر في الدنيا والآخرة،كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ (٢٨) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ (٢٩)﴾ [إبراهيم : ٢٨-٢٩] .

وقال تعالى في صفة القرآن: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٤] .

وقال مسلم في صحيحه حدثنا ابن أبي عمر حدثنا مروان الفزاري عن يزيد بن كيسان عن أبي حازم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل: يا رسول الله ادع الله على المشركين. قال: « **إني لم أُبعث لعاناً وإنما بُعثت رحمة** » . اهـ.

وقال العلامة ابن القيم -رحمه الله -: (٢)

وأصح القولين في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (١٠٧)﴾ [الأنبياء: ١٠٧] . **أنه على عمومه وفيه على هذا التقدير وجهان:**

أحدهما: أن عموم العالمين حصل لهم النفع برسالته ﷺ، أمَّا أتباعه فنالوا بها كرامة الدنيا والآخرة. وأما أعداؤه المحاربون له فالذين عَجَّل قتلهم وموتهم فهو خيرٌ لهم من حياتهم ، لأن حياتهم زيادة لهم في تغليظ العذاب عليهم في الدار الآخرة وهم قد كتب عليهم الشقاء ، فتعجيل موتهم خيرٌ لهم من طول أعمارهم في الكفر وأمَّا المعاهدون له فعاشوا في الدنيا تحت ظلّه وعهده وذمته ، وهم أقل شراً بذلك العهد من المحاربين له.

وأمَّا المنافقون فحصل لهم بإظهار الإيمان به حقن دمائهم وأموالهم وأهلهم واحترامها وجريان أحكام المسلمين عليهم في التوارث وغيرها.

وأمَّا الأمم النائية عنه فإن الله ـ سبحانه ـ رفع برسالته العذاب العام عن أهل الأرض

---

(١) (٣/٢٧١) .

(٢) جلاء الأفهام (٢٨٨-٢٨٩) .

فأصاب كل العالمين النفع برسالته.

الوجه الثاني: أنه رحمة لكل أحدٍ، لكن المؤمنين قبلوا هذه الرحمة فانتفعوا بها في دنيا وأخرى ،والكفار ردُّوها فلم يخرج بذلك عن أن يكون رحمة لهم لكن لم يقبلوها كما يقال: هذا دواء لهذا المرض فإذا لم يستعمله لم يخرج عن أن يكون دواء لذلك المرض. ا هـ. وسيأتي إن شاء الله مزيد بيان لجوانب هذه الرحمة.

خامساً: أن الله تعالى غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر:

قال تعالى: ﴿ **إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢ وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ۝٣** ﴾.

[الفتح: ١-٣].

قال الحافظ ابن كثير -رحمه الله- في تفسيره: (١)

﴿ **لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ** ﴾ هذا من خصائصه ﷺ التي لا يشاركه فيها غيره،وليس في حديث صحيح في ثواب الأعمال لغيره غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر،وهذا فيه تشريف عظيم لرسول الله ﷺ،وهو ﷺ في جميع أموره على الطاعة والبر والاستقامة التي لم يَنَلْهَا بشرٌ سواه لا من الأولين ولا من الآخرين، وهو ﷺ أكمل البشر على الإطلاق وسيدهم في الدنيا والآخرة . ا هـ.

وقال العلامة السعدي -رحمه الله - في تفسيره:

﴿ **لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ** ﴾ وذلك ـ والله أعلم ـ بسبب ما حصل بسببه من الطاعات الكثيرة ، والدخول في الدين بكثرة ، وبما تحمَّل ﷺ من تلك الشروط التي لم يصبر عليها إلا أولو العزم من المرسلين ، وهذا من أعظم مناقبه وكراماته ﷺ أن غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر اهـ.

عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أن النبي ﷺ صلَّى حتى انتفخت قدماه فقيل له : أتكلف هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ ، فقال: « **أفلا أكون**

---

(١) (٧/٢٥٣) .

عبداً شكوراً» (١) ، وعن عائشة رضي الله عنها أن نبي الله ﷺ كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه ، قالت عائشة: لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: « **أفلا أحب أن أكون عبداً شكوراً**» (٢) .

قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله- في الفتح: (٣)

في الحديث ما كان عليه النبي ﷺ من الاجتهاد في العبادة والخشية من ربه ، قال العلماء: إنما ألزم الأنبياء أنفسهم بشدة الخوف لعلمهم بعظيم نعمة الله عليهم ، وأنه ابتدأهم بها قبل استحقاقها ، فبذلوا مجهودهم في عبادته ليؤدوا بعض شكره ، مع أن حقوق الله أعظم من أن يقوم بها العباد ، والله أعلم . اهـ.

سادساً: أن الله تعالى وملائكته يصلون عليه ﷺ :

قال تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** (٥٦) ﴾ [الأحزاب : ٥٦] .

قال الحافظ بن كثير في تفسيره: (٤)

المقصود من هذه الآية أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملأ الأعلى بأنه يثني عليه عند الملائكة المقربين وأن الملائكة تصلي عليه.

ثم أمر تعالى أهل العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه ، ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين العلوي والسفلي جميعاً. اهـ.

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : «**من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشراً**» (٥) .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الرقائق) باب (الصبر عن محارم الله) برقم٧١٦٤ ومسلم في صحيحه واللفظ له كتاب (صفة القيامة والجنة والنار) باب (إكثار الاعمال والاجتهاد في العبادة) برقم ٢٨١٩ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه واللفظ له كتاب (التفسير) باب ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ برقم ٤٨٣٧ ومسلم في صحيحه كتاب (صفة القيامة) باب(إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة برقم) ٢٨٢٠ .

(٣) (٣/٢٠) .

(٤) (٣/٦٦٩) .

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه ،كتاب (الصلاة) باب (استحباب القول مثل ما يقول المؤذن) ، برقم ٣٨٤ .

قال أبو العالية: صلاة الله ـ على رسوله ﷺ ـ ثناؤه عليه في الملأ الأعلى ، وصلاة الملائكة الدعاء [١] .

سابعاً : أن الله تعالى خصه ﷺ بخصائص دون سائر الأنبياء دل عليها حديث الإسراء والمعراج ومنها:

[١] إمامته ﷺ بالأنبياء.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « **لقد رأيتني في الحجْرِ وقريش تسألني عن مسراي ،فسألتني عن أشياءٍ من بيت المقدس لم أثبتها فكُرِبْتُ كُربةً ما كُربتُ مثلها قط ، قال : فرفعه الله إلي أنظر إليه ما يسألوني عن شيء إلا أنبأتهم به ،وقد رأيتني في جماعة الأنبياء ،فإذا موسى عليه السلام قائم يصلي فإذا رجلٌ ضربٌ جعدٌ كأنه من رجال شنوءة ،وإذا عيسى بن مريم عليه السلام قائم يصلي أقرب الناس به شبهاً عروة بن مسعود الثقفي ، وإذا إبراهيم عليه السلام قائم يصلي أشبه الناس به صاحبكم ـ يعني نفسه ـ فحانت الصلاة فأممتهم ،فلما فرغت من الصلاة قال قائل :يا محمد هذا مالك صاحب النار فسلِّم عليه ، فالتفتُّ إليه فبدأني بالسلام**»[٢].

[٢] رؤيته ﷺ سدرة المنتهى ثم عرج به إلى مكان يسمع فيه صريف الأقلام.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: « لَمَّا أسري برسول الله ﷺ أُنتُهِيَ به إلى سدرة المنتهى، إليها ينتهي ما يُعرج به من الأرض فيقبض منها ،وإليها ينتهي ما يهبط إليها من فوقها فيقبض منها ، قال: ﴿ **إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ** (١٦) ﴾ [النجم: ١٦] ، قال: فراش من ذهب. قال:فأعطي رسول الله ثلاثاً، أعطي الصلوات الخمس ، وأعطي خواتيم سورة البقرة ، وغفر لمن لم يُشرك من أُمَّته شيئاً المقحمات » [٣] .

وفي حديث أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ رأى سدرة المنتهى، وإذا ورقها كآذان الفيلة ، وإذا ثمارها كالقلال. قال: فلما غشيها من أمر الله ما غشيها تغيرت ، فما

---

(١) ذكره البخاري في صحيحه كتاب (التفسير) باب ١٠ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الإيمان) باب (صلاة النبي ﷺ بالأنبياء عليهم السلام) ، برقم ٤٢٩ .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الإيمان) باب (سدرة المنتهى) ، برقم ١٧٣ .

أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها »[١]

وعن ابن عباس رضي الله عنهما في سياق حديث المعراج قال: قال رسول الله ﷺ : «**ثم عُرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام**»[٢] .

[٣] رؤيته ﷺ للأنبياء في السماء وكلامه معهم.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أتيت بالبراق (وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه) قال: فركبته حتى أتيت بيت المقدس، قال: فربطته بالحلقة التي يربط به الأنبياء ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين، ثم خرجت. فجاءني جبريل عليه السلام بإناء من خمر وإناء من لبن ، فاخترت اللبن، فقال جبريل عليه السلام: اخترت الفطرة،ثم عُرج بنا إلى السماء، فاستفتح جبريل ، قيل: من أنت؟، قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بُعث إليه؟ ، قال: قد بُعث إليه. ففتح لنا. فإذا أنا بآدم ، فرحب بي ودعا لي بخير. ثم عُرج بنا إلى السماء الثانية، فاستفتح جبريل، قيل من أنت؟، قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بُعث إليه؟ قال: قد بُعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بابني الخالة: عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا ـ صلوات الله عليهما ـ فرحبا ، ودعوا لي بخير. ثم عُرج بنا إلى السماء الثالثة ، فاستفتح جبريل، فقيل من أنت؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل:وقد بُعث إليه؟، قال: قد بُعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بيوسف عليه السلام ، وقد أعطي شطر الحسن، فرحب ودعا لي بخير. ثم عُرج بنا إلى السماء الرابعة ، فاستفتح جبريل ، قيل من أنت؟ ، قال: جبريل، قيل: ومن معك؟،قال: محمد، قيل:وقد بُعث إليه؟ قال: قد بُعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بإدريس ،فرحب ودعا لي بخير. قال تعالى: ﴿ **وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا** (٥٧) ﴾ [مريم:٥٧]، ثم عُرج بنا إلى السماء الخامسة ،فاستفتح جبريل،قيل من أنت؟ قال: جبريل، قيل:

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب (الإيمان ،) باب (الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات) ، برقم ١٦٢ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب (الإيمان ،) باب (الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات) ، برقم ١٦٣ .

ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد بُعث إليه؟ ، قال: قد بُعث إليه ، ففتح لنا ، فإذا أنا بهارون عليه السلام ، فرحب ودعا لي بخير. ثم عُرج بنا إلى السماء السادسة ، فاستفتح جبريل فقيل من أنت؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟، قال: محمد ﷺ. قيل: وقد بُعث إليه؟ ، قال: قد بُعث إليه. ففتح لنا. فإذا أنا بموسى عليه السلام ، فرحب ودعا لي بخير. ثم عُرج بنا إلى السماء السابعة، فاستفتح جبريل،فقيل من أنت؟، قال: جبريل ، قيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ ، قيل: وقد بُعث إليه؟ ، قال: قد بُعث إليه، ففتح لنا. فإذا أنا بإبراهيم عليه السلام، مسندا ظهره إلى البيت المعمور وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه. ثم ذُهب بي إلى سدرة المنتهى وإذا ورقها كآذان الفيلة ، وإذا ثمارها كالقلال. قال: فلمَّا غشيها من أمر الله ما غشيها تغيرت، فما من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها، فأوحى الله إليَّ ما أوحى ففرض عليَّ خمسين صلاة كل يومٍ وليلةٍ. فنزلت إلى موسى عليه السلام. فقال: ما فرض ربك على أمتك؟ قلت خمسين صلاة ، قال: ارجع إلى ربك ، فاسأله التخفيف فإن أمتك لا يطيقون ذلك. فإني قد بَلَوْتُ بني إسرائيل وخَبَرْتُهم.قال: فرجعت إلى ربي فقلت: يا رب خفف على أمتي. فحط عني خمساً. فرجعت إلى موسى فقلت: حط عني خمساً، قال: إن أمتك لا يطيقون ذلك، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف. قال: فلم أزل أرجع بين ربي ـ تبارك وتعالى ـ وبين موسى عليه السلام حتى قال: يا محمد إنَّهنَّ خمس صلوات كل يومٍ وليلةٍ لكل صلاة عشرٌ ، فذلك خمسون صلاة ، ومن همَّ بحسنةٍ فلم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتبت عشراً ، ومن همَّ بسيئةٍ فلم يعملها لم تكتب شيئاً. فإن عملها كتبت سيئةً واحدة . قال: فنزلت حتى انتهيت إلى موسى عليه السلام فأخبرته . فقال : ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف . فقال رسول الله ﷺ فقلت: قد رجعت حتى استحييت منه »[1] .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الإيمان) باب (الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلاة) ، برقم ١٦٢ .

[٤] أن الله فرض الصلاة عليه وعلى أمته في السماء كما يدل عليه حديث أنس رضي الله عنه السابق.

[٥] أن الله أعطاه ﷺ لأمته أنَّ من همَّ بحسنة فلم يعملها كُتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له عشراً ، ومن همَّ بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئاً ، فإن عملها كتبت سيئةً واحدةً ، كما في حديث أنس رضي الله عنه السابق.

[٦] دخوله ﷺ الجنة ورؤيته ﷺ بعض ما فيها ، فقد قال أنس بن مالك رضي الله عنه : في سياق حديث الإسراء قال رسول الله ﷺ : « **ثم أُدْخِلت الجنة فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ ، وإذا ترابها المسك** »(١)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في الجواب الصحيح:(٢)

وأحاديث المعراج وصعوده ﷺ إلى ما فوق السماوات،وفرض الرب عليه الصلوات الخمس حينئذٍ ، ورؤيته لما رآه من الآيات، والجنة والنار، والملائكة والأنبياء في السماوات،والبيت المعمور وسدرة المنتهى،وغير ذلك معروفٌ متواتر في الأحاديث ، وهذا النوع لم يكن لغيره من الأنبياء مثله يظهر به تحقيق قوله تعالى: ﴿ **تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ** ﴾ [البقرة:٢٥٣]، فالدرجات التي رُفعها محمد ﷺ ليلة المعراج وسيُرفعها في الآخرة في المقام المحمود الذي يغبطه به الأولون والآخرون الذي ليس لغيره مثله . اهـ.

ثامناً: أن الله تعالى أعطاه ﷺ خمساً لم يعطهن نبيّاً قبله:

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : « **أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي : نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ، فأيما رجلٌ من أمتي أدركته الصلاة فليصلِّ ، وأحلت لي الغنائم ، وكان**

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الصلاة) باب (كيف فرضت الصلاة في الإسراء) ، برقم ٣٤٩ . ومسلم في صحيحه كتاب (الإيمان) باب (الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماء وفرض الصلوات) ، برقم ٢٦٣ .

(٢) (٦/١٦٨-١٦٩) .

النبي يبعث إلى قومه خاصَّة وبعثت إلى الناس كافة وأعطيت الشفاعة» [١] .

قوله ﷺ : (**نُصرت بالرعب...**) معنى الرعب: الخوف والوجل لتوقع نزول محذور .

وقد قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله -: [٢]

ليس المراد بالخصوصية مجرد حصول الرعب،بل هو وما ينشأ عنه من الظفر بالعدو. اهـ.

وقال : -رحمه الله-: [٣]

وهذه الخصوصية حاصلة له ﷺ على الإطلاق،حتى لو كان وحده بغير عسكر ، وهل هي حاصلة لأمته بعده؟ فيه احتمال . اهـ.

حكمة الإقتصار على شهر في حصول الرعب لأعدائه ﷺ :

قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله -: [٤]

وظهر لي أن الحكمة في الاقتصار على الشهر أنه لم يكن بينه وبين الممالك الكبار التي حوله أكثر من ذلك ،كالشام والعراق واليمن ومصر ، ليس بين المدينة النبوية للواحدة منها إلا شهر فما دونه . اهـ.

وقوله ﷺ : (**وجعلت لي الأرض مسجداً**) .

قال الإمام النووي -رحمه الله- في شرح مسلم: [٥]

معناه أن من كان قبلنا إنما أبيح لهم الصلوات في مواضع مخصوصة كالبيع والكنائس.

قال القاضي -رحمه الله -: وقيل : كان من كان قبلنا كانوا لا يصلون إلا فيما يتيقنون طهارته من الأرض ،وخصصنا نحن بجواز الصلاة في جميع الأرض إلا ما تيقنَّا نجاسته . اهـ.

قوله ﷺ : (**وطهوراً**): أي أن التيمم شُرع لنا عند فقد الماء أو تعذر استعماله ،

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الصلاة) باب (قول النبي ﷺ : «**جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً**») ، برقم ٤٣٨ ومسلم في صحيحه كتاب (المساجد ومواضع الصلاة برقم ٥٢١ .

(٢) الفتح (٦ / ١٥٦).

(٣) المصدر السابق (١ / ٥٢١).

(٤) الفتح (٦ / ١٥٦).

(٥) (٥/١٧٨) .

ولم يشرع لأحدٍ قبلنا.

قوله ﷺ : «**وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحدٍ قبلي**» .

قال الإمام النووي -رحمه الله- في شرح مسلم: (١)

قال العلماء: كانت غنائم من قبلنا يجمعونها ثم تأتي نار من السماء فتأكلها، كما جاء مبيناً في الصحيحين من رواية أبي هريرة رضي الله عنه في حديث النبي عليه السلام الذي غزا وحبس الله له الشمس . اهـ.

قوله ﷺ : (**وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة**) قد سبق بيان أدلة هذا.

وبقي هنا ما قاله الحافظ ابن حجر -رحمه الله- في الفتح: (٢)

ولا يُعترض بأن نوحاً عليه السلام كان مبعوثاً إلى أهل الأرض بعد الطوفان،لأنه لم يبق إلا من كان مؤمناً معه ومن كان مرسلاً إليهم،لأن هذا العموم لم يكن في أصل بعثته وإنما اتفق بالحادث الذي وقع وهو انحصار الخلق في الموجودين بعد هلاك سائر الناس؛ أمَّا نبينا محمد ﷺ فعموم رسالته من أصل البعثة ، فثبت بذلك اختصاصه بذلك.

وأمَّا قول أهل الموقف لنوح عليه السلام ـ كما صح في حديث الشفاعة ـ : أنت أول رسول إلى أهل الأرض ، فليس المراد به عموم بعثته ، بل إثبات أوَّلية إرساله ، وعلى تقدير أن يكون مراداً فهو مخصوص بتنصيصه سبحانه وتعالى في عدَّة آيات على أن إرسال نوح إلى قومه ، ولم يذكر أنه أرسل إلى غيرهم . اهـ.

وقوله ﷺ : (**وأعطيت الشفاعة**) .

قال الإمام النووي ـ رحمه الله ـ في شرح مسلم: (٣)«هي الشفاعة العامة التي تكون في المحشر بفزع الخلائق إليه،لأن الشفاعة في الخاصة جعلت لغيره ﷺ أيضاً».اهـ.

علماً بأن خصائص النبي ﷺ وأمته كثيرة جداً حتى أفردها العلماء بالتصنيف ، والحديث لا يفيد الحصر بخمس فقط.

---

(١) (٥/١٧٨) . (٢) (١/٥٢٠) . (٣) (٥/١٧٨) .

تاسعاً: أن الله تعالى بعثه ﷺ بجوامع الكلم :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « **بعثت بجوامع الكلم**» (١) .

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**أوتيت جوامع الكلم**» (٢) .

قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ في الفتح: (٣)

دخول القرآن في قوله ﷺ : « بعثت بجوامع الكلم » لا شك فيه،وإنما النزاع هل يدخل غيره من كلامه من غير القرآن؟ ، وقد ذكروا من أمثلة جوامع الكلم في القرآن قوله تعالى : ﴿ **وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** (١٧٩) ﴾ [البقرة: ١٧٩]،وقوله تعالى: ﴿ **وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ** (٥٢) ﴾ [النور:٥٢] ، إلى غير ذلك،ومن أمثلة جوامع الكلم في الأحاديث النبوية حديث عائشة رضي الله عنها « **كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد**» ، وحديث « **كل شرط ليس في كتاب الله فهو باطل**» متفق عليهما،وحديث أبي هريرة رضي الله عنه «**إذا أمرتكم بأمرٍ فأتوا منه ما استطعتم**» ،وحديث المقدام رضي الله عنه «**ما ملأ ابن آدم وعاءً شراً من بطنه**» اهـ.

عاشراً: أنه ﷺ أُتِيَ في المنام بمفاتيح خزائن الأرض فوضعت في يده - ورؤيا الأنبياء وحي - :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:قال رسول الله ﷺ :«**بينما أنا نائم أُتيت بمفاتيح خزائن الأرض فوضعت في يدي**» (٤) .

قال الإمام النووي -رحمه الله - في شرح مسلم: (٥)

هذا من أعلام النبوة ، فإنه إخبار بفتح هذه البلاد لأمته ، وقد وقع كما أخبرﷺ، ولله الحمد والمنة . اهـ.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الاعتصام) باب (قول النبي ﷺ : (**بعثت بجوامع الكلم**)) برقم٧٢٧٣ ، ومسلم في صحيحه كتاب (المساجد ومواضع الصلاة) ، برقم ٥٢٣ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب (المساجد ومواضع الصلاة) ، برقم ٥٢٣ .

(٣) (١٣/٢٦٢) .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (التعبير) باب (المفاتيح في اليد) ، برقم ٧٠١٣ ، ومسلم في صحيحه كتاب (المساجد ومواضع الصلاة) ، برقم ٥٢٣ .

(٥) (٤/١٧٩) .

وقال الحافظ ابن حجر -رحمه الله - في الفتح: (١)

ومفاتيح خزائن الأرض المراد منها ما يفتح للأمة من بعده ﷺ من الفتوح وقيل: المعادن . اهـ.

حادي عشر: في قـــوله تعالى في حق نبينا ﷺ : ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ ﴾ [الشرح: ٤] .

قال الحافظ ابن كثير -رحمه الله- في تفسيره: (٢)

قوله تعالى : ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ ﴾ قال مجاهد : لا أُذكرُ إلا ذُكِرْتَ معي: أشهد إلا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله.

قال قتادة: رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة ،فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة إلا ينادي بها: أشهد إلا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

وحكى البغوي عن ابن عباس ومجاهد رضي الله عنهم ، أن المراد بذلك الأذان ، يعني ذكره فيه، وأورد من شعر حسان بن ثابت رضي الله عنه :

أغـرٌ عـلـيـــه لـلـنـبـوة خـــاتمٌ ... من الله من نـورٍ يلوحُ ويشـــهـــدُ
وضَمَّ الإله اسم النبي إلى اســمـه ... إذا قـال في الخـمس المؤذن أشـهـدُ
وشقَّ لـه من اســـمـه ليـــجلَّله ... فذو العرش محـمودٌ وهذا محـمدُ

وقـال آخـرون: رفع ذكره في الأولين والآخرين ،ونوَّه به حين أخذ الميثاق على جميع النبيين أن يؤمنوا به، وأن يأمروا أممهم بالإيمان به ، ثم يشهد ذكره في أمته فلا يذكر إلا معه ، وما أحسن ما قاله الصرصري -رحمه الله-:

لا يـصـلـح الأذان بـالـفـــــرض إلا ... باســمـــه العـذب في الفم المرضي

وقال أيضاً:

ألـم تـر أنَّـا لا يـصـح أذانـنـا ... ولا فـرضنا إن لم نكرره فـيـهـمـا

---

(١) (٦/١٥٦) .
(٢) (٤/٦٧٨) .

ثاني عشر: في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝١﴾ [الكوثر : ١] .

قال شيخ الإسلام بن تيمية -رحمه الله-: (١)

قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝١﴾ تدل الآية على عطيَّة كثيرة صادرة عن معط كبير غني واسع ،إلى أن قال ـ رحمه الله ـ :فوصفه بالكوثر ، والكوثر المعروف إنما هو نهر في الجنة ، كما قد وردت به الأحاديث الصحيحة الصريحة .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : الكوثر إنما هو من الخير الكثير الذي أعطاه الله إياه ﷺ وإذا كان أقَّل أهل الجنة من له فيها مثل الدنيا عشر مرات ، فما الظن بما لرسول الله ﷺ مما أعده الله له فيها .

فالكوثر علامة وأمارة على تعدد ما أعده الله له من الخيرات، واتصالها وزيادتها، وسموٍّ المنزلة وارتفاعها،وأن ذلك النهر ـ وهو الكوثر ـ أعظم أنهار الجنة وأطيبها ماءً، وأعذبها وأحلاها وأعلاها .

وذلك أنه أتى فيه بلام التعريف الدالة على كمال المسمى وتمامه،كقوله: زيد العالم ، زيد الشجاع أي: لا أعلم منه ولا أشجع منه ،وكذلك قوله: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝١﴾ دلَّ على أنه أعطاه الخير كله كاملاً موفوراً ، وإن نال منه بعض أمته شيئاً كان ذلك الذي ناله ببركة إتباعه والإقتداء به، مع أن له ﷺ مثل أجره من غير أن ينقص من أجر المتبع له شيء، ففيه الإشارة إلى أن الله تعالى يعطيه في الجنة بقدر أجور أمته كلهم من غير أن ينتقص من أجورهم، فإنه هو السبب في هدايتهم ونجاتهم ، إلى أن قال ـ رحمه الله ـ:والمقصود أن الكوثر نهر في الجنة ، وهو من الخير الكثير الذي أعطاه الله رسوله ﷺ في الدنيا والآخرة . اهـ.

ثالث عشر: في قوله تعالى في نبينا محمد ﷺ: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ۝٣﴾ [الكوثر:٣] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: (٢)

قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ﴾ أي مبغضك. والأبتر: هو المقطوع النسل الذي لا

(١) مجموع الفتاوى (١٦/ ٥٢٩-٥٣١) .

(١) مجموع الفتاوى (١٦/ ٥٢٨).

يولد له خير ولا عمل صالح ، فلا يتولد عنه خير ولا عمل صالح.

قيل لأبي بكر بن عياش: إن في المسجد قوماً يجلسون ويجلس إليهم فقال: من جلس للناس جلس الناس إليه ، ولكن أهل السُّنَّة يموتون ويحيا ذكرهم ، وأهل البدع يموتون ويموت ذكرهم ، لأن أهل السُّنَّة أحيوا ما جاء به الرسول ﷺ فكان لهم نصيب من قوله: ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ ﴾ [الشرح: ٤] ، وأهل البدع شنئوا ما جاء به الرسول ﷺ فكان لهم نصيب من قوله : ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾ ﴾ [الكوثر:٣] .

فالحذر الحذر أيها الرجل من أن تكره شيئاً مما جاء به الرسول ﷺ أو ترده لأجل هواك أو انتصاراً لمذهبك أو لشيخك ، أو لأجل اشتغالك بالشهوات أو بالدنيا ، فإن الله لم يوجب على أحدٍ طاعة أحدٍ إلا طاعة رسوله ﷺ والأخذ بما جاء به ، بحيث لو خالف العبد جميع الخلق واتبع الرسول ﷺ ما سأله الله عن مخالفة أحد ، فإن من يطيع أو يطاع إنما يُطاع تبعاً للرسول ﷺ ، وإلا لو أمر بخلاف ما أمر به الرسول ﷺ ما أطيع.

فاعلم ذلك واسمع وأطع ، واتبع ولا تبتدع تكن أبتراً مردوداً عليك عملك ، بل لا خير في عمل أبتر من الإتباع ، ولا خير من عامله، والله أعلم . اهـ.

وقال -رحمه الله-: (١)

فإنه ـ سبحانه وتعالى ـ بتر شانئ رسوله ﷺ من كل خير ، فيبتر ذكره وأهله وماله ؛ فيخسر ذلك في الآخرة ، ويبتر حياته، فلا ينتفع بها ولا يتزود فيها صالحاً لمعاده ، ويبتر قلبه ؛ فلا يعي الخير ولا يؤهله لمعرفته ومحبته والإيمان برسله، ويبتر أعماله؛ فلا يستعمله في طاعته ويبتره من الأنصار، فلا يجد له ناصراً ولا عوناً ، ويبتره من جميع القرب والأعمال الصالحة ، فلا يذوق لها طعماً ولا يجد لها حلاوة ، وإن باشرها بظاهره فقلبه شارد عنها.

---

(١) مجموع الفتاوى (١٦ / ٥٢٦).

وهذا من جزاء من شنأ بعض ما جاء به الرسول ﷺ وردَّه لأجل هواه أو متبوعه أو شيخه أو أميرة أو كبيرة . اهـ.

رابع عشر: أن الله تكفَّل بحفظه ﷺ وعصمته من الناس :

قال الله تعالى :﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (٦٧) ﴾ [المائدة :٦٧] .

قال الحافظ ابن كثير -رحمه الله - في تفسيره: (١)

قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ أي بلغ أنت رسالتي وأنا حافظك وناصرك ومؤيدك على أعدائك ومظفرك بهم ، فلا تخف ولا تحزن فلن يصل أحد منهم إليك بسوء يؤذيك ،وقد كان النبي ﷺ قبل هذه الآية يُحرس . اهـ.

وقال العلامة السعدي -رحمه الله- في تفسيره:

﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ هذه حماية وعصمة من الله لرسوله ﷺ من الناس،وأنه ينبغي أن يكون حرصك على التعليم والتبليغ ولا يثنيك عنه الخوف من المخلوقين، فإن نواصيهم بيد الله ، وقد تكفل بعصمتك ، فأنت إنما عليك البلاغ المبين اهـ.

عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان النبي ﷺ يُحرس حتى نزلت هذه الآية ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ فأخرج رسول الله رأسه من القبَّة فقال لهم : «**يا أيها الناس انصرفوا ، فقد عصمني الله**» (٢) .

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : غزونا مع رسول الله ﷺ قبل نجد فأدركنا رسول الله ﷺ في وادٍ كثير العضاه ، فنزل رسول الله ﷺ تحت شجرة ، فعلق سيفه بغصنٍ من أغصانها .

قال : وتفرق الناس في الوادي يستظلون بالشجر، فقال رسول الله ﷺ إن رجلاً

---

(١) (٣/١١١) .

(٢) أخرجه الترمذي في سُننه كتاب (تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ) باب (سورة المائدة) ، برقم ٣٠٤٦ ، وحسنه العلامة الألباني -رحمه الله- .

أتاني وأنا نائم فأخذ السيف فاستيقظت وهو قائم على رأسي فلم أشعر إلا والسيف صلتاً في يده ، فقال لي : من يمنعك مني ؟، قال : قلت : الله . ثم قال في الثانية من يمنعك مني ؟ ، قال : قلت : الله . فشام السيف ـ أي أدخله في غمده ـ فها هو جالس ثم لم يعرض له رسول الله ﷺ » .

خامس عشر: أن الله تعالى تكفَّل بحفظ دينه :

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجر: ٩] .

قال الحافظ المفسر ابن كثير -رحمه الله - في تفسيره: (١)

« قرر تعالى أنه هو الذي أنزل عليه الذكر ، وهو القرآن ، وهو الحافظ له من التغيير والتبديل . اهـ» .

قال العلامة السعدي -رحمه الله تعالى- في تفسيره:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ ﴾ أي القرآن الذي فيه ذكر لكل شيء من المسائل والدلائل الواضحة ،وفيه يتذكر من أراد التذكر ﴿ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ أي في حال إنزاله ، ففي حال إنزاله حافظون له من استراق كل شيطان ، وبعد إنزاله أودعه الله في قلب رسوله ﷺ واستودعه في قلوب أمته، وحفظ الله ألفاظه من التغيير فيها والزيادة والنقص ، ومعانيه من التبديل ، فلا يحرِّف محرِّف معانيه إلا وقيَّض الله من يبيِّن الحق المبين وهذا من أعظم آيات الله ونعمه على عباده المؤمنين ، ومن حفظه أن الله يحفظ أهله من أعدائهم ، ولا يسلِّط عليهم عدواً يجتاحهم . اهـ.

قال الإمام الشاطبي -رحمه الله -: (٢)

إن هذه الشريعة المباركة معصومة ،كما أن صاحبها ﷺ معصوم وكما كانت أمَّته فيما اجتمعت عليه معصومة، ويتبين ذلك من وجهين:

أحدهما: الأدلَّة الدالة على ذلك تصريحاً وتلويحاً،كقوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجر: ٩] .وقوله: ﴿ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ﴾ [هود: ١] .

---

(١) (٤/ ٣٦٨) .

(٢) الموافقات (٢/ ٩١-٩٣) .

وقد قال الله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ ﴾ [الحج :٥٢].

فأخبر أنه يحفظ آياته ويحكمها حتى لا يخالطها غيرها ولا يداخلها التغيير ولا التبديل ، والسُّنَّة وإن لم تذكر فإنها مبينة له دائرة حوله، فهي منه وإليه ترجع في معانيها ، فكل واحد من الكتاب والسُّنَّة يعضد بعضه بعضاً، ويشدُّ بعضه بعضاً، قال تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ ﴾ [المائدة :٣] .

حكى أبو عمرو الداني في طبقات القراء له عن أبي الحسن بن المنتاب قال:

كنت يوماً عند القاضي أبي إسحاق إسماعيل بن إسحاق فقيل له: لم جاز التبديل على أهل التوراة ولم يجز على أهل القرآن؟.

فقال القاضي: قال الله عز وجل في التوراة: ﴿ اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ ﴾ [المائدة : ٤٤] ، فوكل الحفظ إليهم فجاز التبديل عليهم، وقال في القرآن: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجر: ٩] . فلم يجز التبديل عليهم.

قال عليٌّ: فمضيت إلى أبي عبد الله المحاملي فذكرت له الحكاية ، فقال:ما سمعت كلاماً أحسن من هذا.

وأيضاً: ما جاء من حوادث الشهب أمام بعثة النبي ﷺ ومنع الشياطين من استراق السمع لَمَّا كانوا يزيدون فيما سمعوا من أخبار السماء ،حيث كانوا يسمعون الكلمة فيزيدون معها مئة كذبة أو أكثر، فإذا كانوا قد منعوا من ذلك في السماء ، فكذلك في الأرض ، وقد عجزت الفصحاء اللُّسن عن الإتيان بسورة من مثله، وهو كله من جملة الحفظ، والحفظ دائم إلى أن تقوم الساعة ، فهذه الجملة تدلك على حفظ الشريعة وعصمتها من التغيير والتبديل.

والثاني: الاعتبار الوجودي الواقع من زمن رسول الله ﷺ إلى الآن ، وذلك أن الله عز وجل وفَّر دواعي الأمة للذَّب عن الشريعة والمناضلة عنها بحسب الجملة

والتفصيل ، أمَّا القرآن الكريم فقد قيَّض الله له حفظةً بحيث لو زيد فيه حرف واحد لأخرجه آلاف من الأطفال الأصاغر فضلاً عن القراء الأكابر. وهكذا جرى الأمر في جملة الشريعة فقيض الله لكل علمٍ رجالاً حفظه على أيديهم . اهـ.

وفي هذا المقام ساق الإمام القرطبي ـ رحمه الله ـ قصة عجيبة في تفسيره:[١]

فقد ذكر بإسناده إلى يحيى بن أكثم أنه قال: كان للمأمون ـ وهو أميرٌ إذ ذاك ـ مجلس نظر، فدخل من جملة الناس رجل يهودي حسن الثوب ،حسن الوجه، طيب الريح. قال: فتكلم فأحسن الكلام والعبارة، فلما تقوَّض[٢] المجلس دعاه المأمون فقال: إسرائيلي؟ قال: نعم.

قال له: أسلم حتى أفعل بك وأصنع ـ يرغبه ويوعده ـ .

فقال : ديني ودين آبائي وانصرف.

فلما كان بعد سنة جاءنا مسلماً قال: فتكلم على الفقه فأحسن الكلام، فلما تقوَّض المجلس دعاه المأمون وقال: ألست صاحبنا بالأمس؟، قال له: بلى. قال: فما كان سبب إسلامك؟ ، قال: انصرفت من حضرتك فأحببت أن امتحن هذه الأديان، وأنت تراني حسن الخط فعَمدت إلى التوراة فعملت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت وأدخلتها الكنيسة فاشتُريت مني، وعمدت إلى الإنجيل فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت وأدخلتها البيعة فاشتُريت مني ، وعمدت إلى القرآن فعملت ثلاث نسخ وزدت فيها ونقصت وأدخلتها الوراقين فتصفحوها ، فلما أن وجدوا فيها الزيادة والنقصان رموا بها فلم يشتروها مني ، فعلمت أن هذا الكتاب محفوظ ، فكان سبب إسلامي.

قال يحي بن أكثم: فحججت تلك السَّنة فلقيت سفيان بن عيينه فذكرت له الخبر فقال لي: مصداق هذا في كتاب الله عز وجل ، قلت: في أي موضع؟. قال: في قوله تبارك وتعالى في التوراة والإنجيل: ﴿ **اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ** ﴾ [المائدة: ٤٤] ،

---

(١) (١٠/٥-٦) .

(٢) أي انفضَّ وتفرَّق .

فجعل حفظه إليهم فضاع ، وقال ـ عز وجل ـ: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجر: ٩] ، فحفظه الله عز وجل علينا فلم يضع . اهـ.

سادس عشر: في سور وآيات أنزلها الله على نبينا محمد ﷺ لم ينزل مثلها في التوراة و لا في الإنجيل و لا في الزبور و لا في الفرقان :

عن أبيٍّ بن كعب رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ : « **أتحب أن أعلمك سورة لم ينزل الله في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في القرآن مثلها ؟** قلت : نعم يا رسول الله، قال رسول الله ﷺ :**كيف تقرأ في الصلاة ؟**، فقرأت عليه أم القرآن ـ الفاتحة، فقال رسول الله ﷺ :**والذي نفسي بيده ما أنزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها ، إنها السبع المثاني والقرآن العظيم**» (١) .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بينما جبريل قاعدٌ عند رسول الله ﷺ سمع نقيضاً من فوقه فرفع رأسه فقال : هذا باب من السماء فتح اليوم لم يفتح قط إلا اليوم فنزل منه ملك إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم فسلَّم وقال : أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة : لن تقرأ بحرف منها إلا أعطيته » (٢).

وعن عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « **إقرأ سورة البقرة فإني أعطيتها من كنزٍ تحت العرش**» (٣) .

سابع عشر: في هداية الله نبينا ﷺ وأمته ليوم الجمعة وهو خير يوم طلعت عليه الشمس.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « **نحن الآخرون السابقون يوم القيامة ، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتينا من بعدهم ، وهذا يومهم الذي فرض عليهم فاختلفوا فيه ، فهدانا الله له ، فهم لنا فيه تبع ، فاليهود غداً**

---

(١) أخرجه النسائي في التفسير (١ / ٥٢٣) برقم ٢٢٥ وهو حديث حسن.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (صلاة المسافرين) باب (فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة) ، برقم ٨٠٦ .

(٣) صححه العلامة الألباني في صحيح الجامع برقم ١١٧٢ .

والنصارى بعد غدٍ »[١] .

وعن أبي هريرة وحذيفة رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا ،فكان لليهود يوم السبت ،وكان للنصارى يوم الأحد ،فجاء الله بنا فهدانا الله ليوم الجمعة ،فجعل الله الجمعة والسبت والأحد وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة ، نحن الآخرون من أهل الدنيا والأولون يوم القيامة ،المقضي لهم قبل الخلائق»[٢] .

ثامن عشر: أنه ﷺ سيد ولد آدم يوم القيامة ، وأول من ينشق عنه القبر ، وأول شافع ، وأول مشفع :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **«أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ، وأول من ينشق عنه القبر ، وأول شافع ، وأول مشفَّع»**[٣] .

تاسع عشر: أنه ﷺ أول من يدعى يوم القيامة :

عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: يُجمع الناس في صعيدٍ واحد ، فأول مدعوٍ محمد ﷺ فيقول : لبيك وسعديك ، والخير بين يديك ، والشر ليس إليك، المهدي من هديت ، عبدك وابن عبدك وبك وإليك ،تباركت وتعاليت . فهذا قوله : ﴿ **عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا** ﴾[٤] .

وهذا حديث موقوف له حكم الرفع .

العشرون: أنه ﷺ صاحب المقام المحمود الذي يحمده عليه الأولون والآخرون يوم القيامة.

قال الله تعالى : ﴿ **عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا** ﴾ [الإسراء :٧٩] .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (أحاديث الأنبياء) ، برقم ٣٤٨٦ ، ومسلم في صحيحه كتاب (الجمعة) باب (هداية هذه الأمة ليوم الجمعة) ، برقم ٨٥٥ ، واللفظ له .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الجمعة) باب (هداية الله هذه الأمة ليوم الجمعة) ، برقم ٨٥٦ .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الفضائل) باب (تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق) ، برقم ٢٢٧٨ .

(٤) أخرجه النسائي في تفسيره في تفسير سورة الإسراء برقم ٣١٤ وغيره ، وإسناده صحيح كما قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ في فتح الباري (٨ / ٢٥١).

قال الحافظ ابن كثير -رحمه الله- في تفسيره: (١) .

قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء:٧٩] يحمدك الخلائق كلهم وخالقهم ـ تبارك وتعالى ـ .

قال ابن جرير- رحمه الله-: قال أكثر أهل التأويل: ذلك هو المقام الذي يقومه محمد ﷺ يوم القيامة للشفاعة للناس ليريحهم ربهم من عظيم ما هم فيه من شدة ذلك اليوم . اهـ.

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : أن رسول الله ﷺ قال: « **إن الشمس تدنو من الخلائق حتى يبلغ العرق نصف الأذن، فبينما هم كذلك استغاثوا بآدم ثم موسى ثم بمحمد** ﷺ ، **فيشفع ليقضى بين الخلق، فيمشي حتى يأخذ بحلقة الباب ، فيومئذٍ يبعثه الله مقاماً محموداً يحمده أهل الجمع كلُّهم**» (٢) .

وعنه رضي الله عنه **قال:** « إن الناس يصيرون جثا ـ أي جلوساً على ركبهم ـ كل أُمة تتبع نبيها يقولون: يا فلان اشفع ، يا فلان اشفع ، حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي ﷺ ، فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود » (٣) .

الحادي والعشرون: أنه ﷺ إمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم يوم القيامة:

عن أُبَي بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**إذا كان يوم القيامة كنت إمام النبيين وخطيبهم ، وصاحب شفاعتهم من غير فخر**» (٤) .

الثاني والعشرون: أنه ﷺ أكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة :

عن أنس بن مالك رضي الله عنه **قال:** قال رسول الله ﷺ : « **أنا أكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة**» (٥) .

---

(١) (٣/٧٥) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الزكاة) باب (من سأل الناس تكثراً) ، برقم ١٤٧٤ ، ١٤٧٥ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (التفسير) باب (﴿عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾) برقم ٤٧١٨ .

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٥ / ١٣٧) والحاكم في المستدرك (١ / ٧١) ، وابن أبي عاصم في السُّنَّة برقم ٧٨٧ وغيرهم ، وحسنه العلامة الألباني -رحمه الله- .

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الإيمان) باب («**أنا أول الناس يشفع في الجنة** ») ، برقم ١٩٦ .

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**لم يصدق بنبي من الأنبياء ما صُدِّقتُ، وإن من الأنبياء نبياً ما يُصدِّقه من أمته إلا رجلٌ واحد**» (١) .

الثالث والعشرون: أنه ﷺ أول الناس يشفع في دخول الجنة يوم القيامة.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :«**أنا أول الناس يشفع في الجنة**»(٢).

وعنه رضي الله عنه قال :قال رسول الله ﷺ :« **آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح ،فيقول الخازن : من أنت ؟ ،فأقول :محمد . فيقول : بك أمرت لا أفتح لأحدٍ قبلك** » (٣) .

الرابع والعشرون: في الوسيلة والفضيلة :

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : «**من قال حين يسمع النداء :اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته ،حلت له شفاعتي يوم القيامة**»(٤) .

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أنه سمع النبي ﷺ يقول : « **إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثلما يقول، ثم صلوا عليَّ ، فإنه من صلَّى عليَّ صلاة صلَّى الله عليه بها عشراً ، ثم سلوا الله لي الوسيلة ، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون أنا هو ، فمن سأل لي الوسيلة حلّت له الشفاعة**» (٥) .

الوسيلة: فسرت في الحديث الثاني بأنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله ، رجى النبي ﷺ أن يكون هو صاحبها .

وأمَّا الفضيلة: فقد قال الحافظ بن حجر -رحمه الله-: (٦)

أي المرتبة الزائدة على سائر الخلائق . اهـ.

وبعد كل ماسبق فإن المؤمن يزداد حمدا لله وشكراً أن جعله من أمة هذا النبي

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق برقم ١٩٧ .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الأذان) باب (الدعاء عند النداء) ، برقم ٦١٤ .

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الصلاة) باب (استحباب القول مثل ما يقول المؤذن) ، برقم ٣٨٤ .

(٦) فتح الباري (٢ / ١١٣)

الكريم ، وشرفه باتباعه ﷺ .

ومما زادني شرفاً وفخراً ... وكدت بأخمصي اطأ الثريا
دخولي تحت قولك ياعبادي ... وأن صيرت أحمد لي نبيا

كما أن ذلك يزيد في محبة المؤمن لهذا النبي العظيم،ويزداد له اتباعًا،وبه اقتداءً، ولمن أرسله ـ وهو الله سبحانه وتعالى ـ عبوديةً وافتقاراً ، الذي يختص برحمته من يشاء، وهو ذو الفضل العظيم.

obeikandl.com